

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ع ع س

عن الشاعر الراحل وصفي قرنفلي

١ - من ذكر يأتي معه :

دخلت عليه أعوده في مرضه الطويل ... كان ذلك منذ سنتين ، بمناسبة عيد الفصح . ما أن فتحت باب الغرفة حتى نظر في وجهي نظرة الماتب لفيابي عنه فترة مديدة ، وقال لي بصوت يتحشرج فيه الالم والاسى :

« أين كنت طوال هذه الغيبة ؟ .. » .

كان ممددا على سريره بهدوء واستسلام ، ووراء رأسه متكاة طرية وبجانبه رادبو « ترانزستور » صغير الحجم جدا يتصل من خلال موجاته بالنديا من حوله ، والظلام الشمس يخيم على جو الغرفة ، وكذلك الصمت ... لست أدري لماذا أحسست آنذاك انني في دير قديم له طقوسه الجنائزية الخاصة .

كان هذا هو كل عالمه بعد ان حرم متعة القراءة لانه لم يصد يستطيع ان يمك الكتاب او المجلة ، بين يديه ، فيداه شلولتان .

الواقع لم تكن يده فقط مشلولتين وانما كان جسده كله مشلولاً راكدا .. كان جسدا يقوب كالثلج تحت شمس الماسة .. كان كومة من لحم بارد وعظم متيسر . شيء واحد كان فيه حيا متقددا ، بل شبان ، عقله وذكرته أولا ، وقلبه وعاطفته ثانيا ، انه يحدثك عن ذكريات بائدة مندثرة عمر بعضها اربعون عاما ، فلا يفلت من جزئياتها شاردة ولا واردة الا ذكرها وكأنه يروي لك امرا جرى البارحة . وهو يعتز بهذه الذاكرة الشابة المتيقظة التي لا تخونه : (لقاؤه مثلا بالشاعر الفلاني سنة كذا والابيات التي قالها كسل منهما في جلسة خمر ... مظهرة في حمص قامت عام كذا ضد الفرنسيين ، من استشهد فيها ومن نجا من الزعماء ، وماذا قال الشعراء في وصفها ... زيادته للاتحاد السوفياتي ، وموازاة غرفته لغرفة مولوتوف في المستشفى الخ .. الخ ..) .

طافت في خيالي صور حياة (وصفي قرنفلي) هذا الشاعر العربي الكبير قعيد الرض منذ سنوات ، شبابه المناضل ضد الاحلاف الاستعمارية التي اردت تطويق قطرنا في الخمسينات ، عمله المبدع في المساحة (طوبوغرافيا) فريدا من نوعه يقطع البلاد طولاً وعرضاً تحت قبض الشمس اللاهب وصقيع البرد الجارح ليمسح الارض التي احب ، شعره الفزل الذي تنبثق فيه المعاني والصور والتعابير بكل جديد انبثاقا فنيا رائعا وخاصة في قصائده الاولى المبكرة التي نشر جزءا منها في مجلة « الاداب » في منتصف الخمسينات ، وكنا ننتظرها انتظارا .

طافت في مخيلتي هذه الصور وغيرها من سلسلة الصور البيضاء والسوداء في حياة هذا الشاعر الفنان الذي كرمته الدولة فمختته وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى وطبعت له وزارة الثقافة في القطر العربي السوري ديوانه « وراء السراب » وقلت في نفسي :

كيف يستطيع انسان كان يضمن معايشة الناس يوميا ان ينقطع عن الناس فلا يراهم الا لاما من خلال زيارتهم العابرة له ؟!

كيف يستطيع انسان كان يضمن معايشة الطبيعة دائما ان ينقطع

عن مرآها فلا يتملى منحها الالهية الا من خلال شجرة آكاسيا وحيدة تواجه نافذة غرفته ، بعد ان كانت هذه الطبيعة كل حياته ومرتع عمله ومثار صواته واستفراقاته الفكرية والروحية ؟ ..

كيف يستطيع انسان ان ينقطع عن المشاركة في بناء المجتمع العربي التقدمي الاشتراكي الذي كان يحلم بتحقيقه بعد ان كانت هذه المشاركة تشكل محور هوموه وطموحه ونضاله وخبزه اليومي ؟ ..

ولكي انتشل نفسي من بئر تصوراتي العميق ، اقتربت من سرير الشاعر الصامت وسألته - كما هي العادة - عن صحتسه ، فاجاب بتفاؤل :

هل أخبرتكم ؟ .. هناك دواء جديد أعطاه ، أرسل لي من اميركا خصيصا وهو مجرب ويشفي حالة مثل حالتني ... وأردف بفرح طفولي :

ولن تمر شهور حتى أعود كما كنت ، أخرج وأمشي وأطالع وألقى الحياة وأعيشها ، وأعود الى اصدقائي ونفسي ... كان يقول هذه الكلمات بثقة وأمل كأنه يتحدى مرضه الزمن وواقعه المؤلم ويخلق من صميم مأساته لحن غبطة وسعادة ، ويفتق من ظلام نهاراته ولياليه الطوال المشابهة المتأكلة ضياء وابتساما ، وكنت من جانبي أتساءل :

هل يمكن لدواء مهما كان فعالا ومؤثرا ان يشفي مريضا في السنين من عمره أفعده الشلل الرعاش الكامل في انفراس منذ ست سنوات وأفقدته الحركة والحس والنطق الواضح ؟ ..

كان يرافقني في زيارتي صديقي الشاعر الشاب (احمد دحور) وكان قد شارك في مهرجان الربيع الشعري لذاك العام ، وأراد احمد ان يسلي وصفي فحكى له عن المهرجان قائلا :

● بعد أن أنهيت لقاء قصيـدتي ونزلت عن المنصة سألني (الجواهري) :

من أين أنت ؟ ..

قلت :

فلسطيني مقيم في حمص .

قال الجواهري بحماسة :

من بلد وصفي قرنفلي أنت ... انه شاعر كبير .. سلم لي

عليه ...

(وانفجر وصفي لدى سماعه هذه الكلمات بعاصفة مرة قوية من البكاء والاجهاش لم تكن تنفع معها تهدنتنا له حتى بللت الدموع خدبه دون ان يقوى على مسحها) .

عندما صمت قلت له :

يا صديقي وصفي ، نحن آتينا نعايدك ونعودك .

قال بحسرة :

الماضي بيكيني .. الندم .. الذكريات .. الشعر ..

وتابع احمد روايته قائلا :

واقترب مني (عمر ابو ريشة) وقال : وانا ايضا سلم لي عليه بالرغم مما بيننا من خلاف (يشير ابو ريشة هنا الى قصيدة لوصفي قرنفلي يهاجمه فيها لسبب ما) .

وعاود وصفي ثانية البكاء متأثرا بتحية ابي ريشة اليه .

طوال ساعتين كنا نحن نجاذبه اطراف الحديث ، نحاول ان نسري عنه ، ننسيه المحنة التي يعيشها بأعصابه المنتهية . لم يكن هو قادرا على الكلام ، كان الشلل قد قارب الوصول الى لسانه وكان هذا اكثر

ما يرضيه ويعذبه : ألا يستطيع انقراء ولا الكتابة ولا حتى التمتمة .
ومن طرفي كنت من امهر اصدقائه الذين يتمكنون من ترجمة غمفماته اللسانية اللامفهومة وتحويلها الى معان مفهومة . لقد حفظت تذكاراته وحكاياته التي يرددها في كل زيارة بعد ان اصبح عالمه جد محدود : (« غارسيا ») اسم اصله عربي ، افتتح البخلاء للجاحظ ، في الصفحة كذا تجد اسم غارسيما محرفا في الهامش الثاني ... صحيح انني لم ادرس النحو ولا علوم العروض ، لكنني اتحدى الخطا نفسه فيهما .. الخمرة والمرأة .. لا .. الخمرة والجنس هما دائي ، وكذلك الكبرياء ، نولا الثلاث ما وصلت الى هذه الحال البائسة .. هل ترى صديقي الشاعر (فلانا) - ويتحشرج صوته بالبكاء - ما زارني منذ سنتين (وينهد) . لندن اذاعة مخططة جدا ، الاغنية فيها والحديث والتعليق والموسيقى والاخبار والمقابلة وجميع البرامج تسيير نحو تحقيق هدف واحد مدروس . الانكليز يحفرون قبر الشعوب بالابرة و (يضحك) .

خرجنا أنا وصديقي أحمد دحجور من الزيارة منهكين مرضا ، بكينا معه وعليه اكثر مما بكى . أنا في الثالثة والثلاثين شعرت بعد مفارقتي لبست وصفي انني في الثمانين من العمر وان الحياة سخرية لا تطاق ، واننا نحن البشر ضحاياها وذلك بالرغم من انني ازور وصفي في مرضه منذ لازم الفراش بين الشهر والآخر (لكنني لم اره على مثل هذا النمط من الانتهاك المفجع ، والاحساس الاكيد بالوت والتعلق الاسطوري بالحياة ، والبكاء الطفولي العجيب) .

مشينا في الطريق ذاهلين ، حزنين ..
أخذ أحمد احزانه في صمت قارس قارس ..

وانا اخمدت احزاني بان عدت الى شريط ذكرياتي مع وصفي قرنظلي على مدى عشرة اعوام كانها رفة الحلم وتهوية الخاطر واطراقة الجفون ...

ثم ... ثم افترقنا دون كلمة وداع .

٢ - وقفة مع ديوانه ((وراء السراب))

كانت الحركة الشعرية في حمص بعد الثلاثينات ناشطة ملونة لدواع عديدة ، منها شيوع تيار العبث والاحياء على ايدي الشعراء التقليديين في المدينة ، ومنها مناوأة الشعراء للاحتلال الفرنسي كطليعة للشعب ، مما فتح امامهم مواضيع خصبة للنظم والتحميس ، ومنها تحريك المجتمع نحو بناء حضاري جديد ، ومنها مأساة فلسطين بعد النكبة الاولى وما تركته في القلوب من جروح وفي النفوس من اسى وثورة .

وكان للشعر في حمص يومئذ مدرستان ، او متزعا ، تقليدي وتجديدي بينهما صراع ومناقسة ، وكان من زعماء المنزع التجديدي بل من غلانه ورؤوسه وصفي قرنظلي .

كان وصفي رومانتيكيا بطبعه واحساسه وغربته الروحية الدائمة ، وكانت حياته في بدايتها ضربا من البوهيمية اللامسؤولة ، فاشتركت النزعة الرومانتيكية مع النزعة البوهيمية في خلق شاعر تصدى منذ راح ينظم الشعر عام ١٩٢٧ لمحاربة الشعر السلفي المحافظ واستطاع بعد جهاد طويل متواصل ومعارك أدبية عنيفة شهدتها الصحافة السورية في الخمسينات شعرا ونثرا أن يرسي ما يشبه الاسس لاتجاه المدرسة الكلاسيكية الحديثة (نيوكلاسيك) وما يتفرع عنها من تيارات واتجاهات تتراوح بين الواقعية والبرناسية والرمزية لا في الشعر الحمصي فحسب - ان جازت التسمية ، وهي ليست بجائزة - بل أكاد أقول في شعر القطر العربي السوري عامة ، تلك المدرسة التي

تخلصت الى حد ما من اللهجة الخطابية التي سادت سابقا واتكأت على معطيات الرومانتيكية شكلا ومضمونا وأصبحت تفني آلام الذات الشاعرة ، وتعبر باخلاص عن التجربة المعاشة وتعتمد في صياغتها على النغم الشعري الهامس وتتأنق في اختيار ألفاظها الناعمة الهفافة ذوات الجرس المهسوس والظلال ، وتصب في القصيدة جماع عواطفها المحترقة ولا تقيم للمقاييس الفنية الصلبة او العقلية الاجتماعية الجامدة كبير اهتمام .

والواقع ان وصفي يملك موهبة ممتازة في التعبير عن خلجات النفس الانسانية والعواطف التلهفة والاحاسيس الطاغية ، لذا فالكلمة عنده شحنة من الشعور التدفق والصدى الرمزي المسوع في الموضوع واللفظة والصورة ، غير انه لا بد لنا ان نتساءل : من اين آتت وصفي هذه الايحاءات الرمزية وكيف تسنى له ان يطعم بها شعرنا المعاصر ، وهو الذي يعد ذا اطلاع محدود على أفق الشعر الفرنسي الرمزي وأعلامه الكبار كودلير ورامبو وفيرلين ومالارميه وفاليري وجان هورياس وغيرهم ؟ وجوابنا على ذلك ان وصفي تابع قراءة مؤسس الرمزية الاول في لبنان الشاعر المقل (اديب مظهر) بعد ان استظاب عطاءه فأخذ يقتفي خطاه ويصوغ شعره على شاكلته ، مستعينا بابداعاته الخاصة حتى تفرد بشخصيته الشعرية اثر قبسه اول ملامح الرمزية من (اديب مظهر) في مثل قوله (أي مظهر) :

وهناك في الوادي غدير تائه مثلت بين الجبال نفوس
يهفو الصباح فيستحم بمائه وينام عند ضفافه الديجور
والخلاصة ان وصفي خلق ما يقرب من مدرسة شعرية لها تلاميذ يستعبرون ريشته وألوانه وخياله ويقفون في مجمله اللغزي الشفاف وفي بعض اغراضه الشعرية واستفراقاته الوجدانية وعلى رأسهم الشاعران الفقيدان عبدالسلام عيون السود وعبدالباسط الصوفي ، وقراء معجبون ينتظرون انتاجها ويدافعون عن خطى التجديد والجرأة عند شعرائها .

واذا نعمنا في قراءة وصفي ودراسته من خلال ديوانه ((وراء السراب)) خرجنا بالملاحظات التالية :

الاولى : فالصورة في شعره وليدة الكلمة ووضعت من حروفها فهي أحيانا مثقلة بالضباب مضمخة بالفموض ، وأحيانا أخرى صافية كجبهة الطفل ، مشرقة كالصباح الوليد ، وهو في هذين النوعين من الصور ، مخلص للصورة نفسها في بيتها الواحد ، بل شطره ، ابعادها وجوها وجدتها ، ولا يهمه ان يرسم لوحة يوظفها بالخطوط الزغبية ، ويظهر هذا الاخلاص للصورة المفردة في قصيدته الوصفية الرائعة ((صلاة)) حيث يهيم فيها على صباح الربيع شوق العطور ونشوة الارض ، وحيث تتجلى حاسة النظر عند الشاعر ودقة النقاطها للصورة الفنية وشفافية رؤيتها في تداخل الاسوان وصفائها : لون الصبح الازرق ، والبراعم الخضراء ، والندى اللؤلؤي ، والخمر الارجواني كانها قوس قزح :

هزتي صاحبي وقال : ((أفق ، فالصبح نديان نامم يتفتح
قم أخوا الشعر فالقوافي عذاري ، عاربات كالصبح في المرح تصدح
هم نيسان بالعتاب : أيقفي في صباحي ؟ .. والكأس باللوم أفصح
فتشاءبت والكرى في جفوني ، وتناهضت نحوه ، أنارجج
فاذا الصبح في غلانه الزرقاء ، ساج ينهل طيبا ويلمح
رفا ونسل من براءمه الخضر ، طريا ، مهفهب الخطو ، أفصح))
وتتمتع صورة وصفي بالحركة الجسدية والمعنوية تعبيرا عن حالة عضوية او نفسية معينة . وادخال الحركة الطبيعية في التصوير الشعري ، فن صعب ، اذ يحتاج الى الالتقاء بين الالفاظ في تتابعها وزخمها كالظن المتلاحق وما يقابلها من معنى حركي لتكتمل الاندفاع ويتضح المجهود :

ومن الشاعر المثل بما يندى جبين الاحرار من بهتانه

انه .. انه وأغمدت سكينى وراء الوريد من شريانه

أو :

فتن تقول : - هنا ، وتوميء فتنة وتهم أخرى
ماذا أرى ؟.. سبحان ما ... وأبيك ما أضمرت كفرا
والثانية : تتعلق بشخصية الشاعر ذات الابعاد الحضارية
والنفسية والاجتماعية والسياسية ومواقفه من الحياة والاحياء ،
فوصفي انسان ثائر ، رافض ، غاضب ، جموح ، متمرد على معطيات
العلم التي جعلت من المخلوق البشري آلة صماء ، رافض للموروثات
الشرقية التي كبلت تقدمنا الاجتماعي ، غاضب على الزعانف التي
تفكر بقلية العصر الحجري ، جموح في التأمل والهدف . وهذه
الخصائص النفسية والسمات الشخصية والاعتقادات الذاتية تنعكس
كلها في قصيدته الخالدة « سراب » . ومن يقرأ هذه القصيدة الطويلة
يقف امامها دهشا ، فهي ملحمة النفس الانسانية في صراعها الرافع
وسفر الازل في تناقضاته الغريبة . واذا كان لكل شاعر قصيدة كما
يقول الفرنسيون فان قصيدة وصفي قرنظي هي « سراب » . وسراب
تعبير شعري شاهق عن مأساة « الفراغ والعمية » بمعناها العميق
ووصف تراجيدي لتهاقت الانسان في عالم المادة الرخيص والدنس
الوجودي وعرض مجسم لارتخاء الذات امام معضلات الحقد :

عصف الياس بالبقية من كاسي فأفرغت في التراب شرابي
ونفضت المني فأهوين انقاصا : « الى النار يا سياط العذاب »
ان شر الجراح جرحك يا ياس بل الموت دون هذا العذاب
يا لرجس العلوم أنقى وأسمى ، من جميع العلوم طهر الغاب
يا لفقري حرمت حتى من الدمع ومن عشة الاسى في اهابي

لكن هذه المواقف التمردية الراضة لا تعني سلبية وهروبا في
نظرة الشاعر للانسان ، فهو عطوف عليه ، رقيق به ، محب لبني وطنه
وقوميته العربية ، مدافع عن كيانها ، ومن هنا كثر الشعر السياسي
في ديوانه عندما حاول ان يجعل قصائده هادفة تخدم قضايا السياسة
والمعترك النضالي ، مما احوالها في بعض الاحيان معنى وصياغة أشبه
بافتتاحيات صحف شعرية تخلت عن الفن وأشاح عنها الابداع وماجت
فيها الثرية ، وقد لمح هو نفسه هذا التندني في الشكل والمضمون
فكف عن الشعر السياسي والنظومات النازعة قبل ان يتوقف نهائيا
عن النظم ، الا ان هذا لا يلغي قيمة بعض قصائده السياسية ،
ففي عدد محدود منها ، يرتفع فنيا الى الذروة ويبرهن على اصالة
وجودة وشعور جماهيري لهاب :

عرب نحن ، والعروبة انسان شريف يستنكر العداونا
كل تاريخنا انطلاقا أحرار وشعر يستصغر العداونا
كلما هم فاتح أو غزانا ، ضاع في السفح واستظالت ذرانا
نحن معنى الربيع نورا ودفنا وازدهارا فمن رآه ، رآنا
نحن معنى من الطليعة في الشعب اذا الشعب هزنا أو نخانا
والثالثة : تنجحه نحو محاولات التجديد الجذرية في شعره ،
فقد استطاع ان يوحد فكرة القصيدة ، ان يجعلها كلها تدور حول
منطلق واحد ، لا ان يستقل كل بيت بفكرة ثم لا يربط بين الابيات
وافكارها رابط او ناظم كلي ، واجود مثال على هذه التجربة
قصيدته « كتابة » :

عقدت هديها على حلم ميت ولفت آلامها بابتسامه
ولوت جديها كما لوت العنق على مرهف الشعاع حمامه
ووراء الضلوع تنتحب الروح انكسارا ، ذبيحة مستضامه
ماتت الذكريات الا ظلالا ، حضنت قلبها وات حطامه ...
يسس الدمع في الجفون وغض النظر الميت لا يرى ما امامه
واستطاع ايضا ان يميز غزله بالبوح الحوارية الحار ، وكثرة
الالفاظ والمخاطبة ، ثم السؤال وانظار الجواب ، بين جممل
معتزلة منكرة بجمال وحيوية ، وهذه الحوارية الشعرية ، ان صح

التعبير ، تكاد تكون ميزة عرف بها وصفي من دون شعرائنا المحدثين ،
ولذا يصعب تقليدها :

على شفتيك ، منكأ المعاني وفي الهدين قافية وبحر
ونهدك - آه ظل النهدي - حلم تفتح في الصدر فقيل: فجر
خطى.. نعم.. وخصر مستجيب سرى فالافق أنى سرت خمر
فاما قلت ، برعم كل حرف وماج فهل سقيت اللغظ عطر

عاش وصفي حياته مرتحلا « موكلا بفضاء الله بذرعه » من قرية
الى اخرى ومن بادية الى بادية ومن مشروع الى مشروع بحكم وظيفته
في المساحة والري ، فولد فيه هذا الترحل الدائم صفة القلق وعدم
الاستقرار حتى بالنسبة للأفكار الايديولوجية التي يعتنقها ، الا ان هذا
السفر الطويل المستمر - من زاوية ثانية - اعطى تجربته الشعرية
فيضا من التنوع والحرارة ، وكان ان الهبت طبيعة المناطق التي
ينتقل فيما بينها من جفاف وبيوسة وبوار الى جنان خضراء ثرة المياه ،
مخيلته الطليقة فاخترت صوراً ابداع الشاعر في استقلالها بالوصف
على نوعيه : الخارجي - الطبيعة ومعطياتها - والداخلي : - النفس
ومعطياتها - . ومع ان عمله أنهك صحته واضنى جسده وابعده عن
اصدقائه واهله ودينا الحضارة الالهية التي يعيشها الناس وما فيها
من ترف ورفاه ، فانه يعتز به اعترازا اصيلا ، لانه مثل عمل الكثرة
الكاثرة من هذا الشعب الذي يسعى وراء اللقمة بالدم المكثود والعرق
التساقط وهو ابن الشعب ، عايش الصميمي المعذب من طبقاته :

انا للشعب ما حييت وللدرب يمينا لا تعرف التويلا
انا للكادحين ، منهم ، وفيهم سل جبلا ذرعتها وسهولا
بي من البؤس ما بهم ومكاني بينهم حيثما تولوا سيلا

الا ان وصفي عاش حياته عريضة عميقة طويلة ، بكل دقيقة. تمر
وصباح يشرق ومساء يهيم ، ونرجيلة تقرقر ، وكأس تهش روحه على
ضفافها ، وجسد امرأة قدوس يتعبد مفاتنه ، ومنظر سحري ندي ،
على كنف (اليماس) يصلي له وحلقة من الاصدقاء الاوفياء حول منضدة
يدور فيما بينها حوار في الشعر والسياسة وصبوات النفس وآمال
المستقبل ، ولكن اجمل حديث وألصقه بالشاعر ، كان حديث الحب
والصباية ، فهو يميل الى المرأة جسيم شهوة ، ويرى فيها عاله الاسمي
الذي يخلصه من أدران عاله اليومي وارهاق الفبار ووهج الشمس
ولفة الأرقام والحسابات الهندسية بعد نهار بل قل نهارات مديدة ،
وينقله الى سحر العطور وبرعمة النهدي وغلالات الحرير وهمس النشوة :

غمرت وزاف (البنطلون يلفها ساقا وخصرا
وتأودت في الضفتين ، تأود النغمات ، نصرا
ماذا ترى ..؟ وترامت اليمينى وشال الفنج يسرى
- ماذا أرى؟.. سبحان ما ، وأبيك ما أضمرت كفرا
وسجدت بالهدين أمسح جسمها وأخط شعرا
في السفح قافية ، أدغفها ، ودون الركن عشرا
وعلى الشفاه تقطر (الكرز) اللذيذ وزف عطرا
وعلى ظلال الهدب أغفت قبلة كالخمر سكرى

انا شاعر القبلات بيضا ، ما لهن صدى وحمرا

٣ - حفل تأبين الشاعر الراحل

اقام اتحاد الكتاب العرب بسورية في نهاية شهر شباط الماضي
حفلا تأبينيا تكريما للشاعر الراحل وصفي قرنظي في صالة سينما
الزهراء بحمص حضره ما ينوف على ألفي شخص بين اديب وصديق
ومعجب جاءوا تقديرا للذكرى شاعر عربي بارز ، وهب نفسه وفنسه
لقضية العروبة والاشتراكية وكان صوتا حرا جهيرا من اصوات الالتزام

العراق

رسالة من ماجد السامرائي

نشاط فني كبير

تميز النصف الثاني من شباط ، وأذار بنشاط ملحوظ فني مجال الفن التشكيلي في العراق .. بما فهم من معارض ، لم تتميز بكثرها وحسب ، وإنما بما قدمته من أعمال ، امتاز الكثير منها بوجوده . ومن هذه المعارض : معرض سعاد العطار ، ومعرض ليلى العطار ، ومعرض الفنان السوري غياث الأخرس ، والمعرض العراقي - السوري المشترك ، الذي اشترك فيه ثلاثة فنانيين من العراق (صالح الجميبي ، ضياء العزاوي ، رافع الناصري) وبلانه من سوريا (نعيم اسماعيل ، الياس زيات ، غياث الأخرس) .. ومعرض الفن الفرنسي .. وافتتاح « كائيري ٣ » الذي بدأ يفهم معارض نائبه ، وبشكل مستمر . هذا بالإضافة إلى معارض أخرى كثيرة .. حتى ان النشاط التشكيلي كان هو الاكثر سيطرة على الحياة الثقافية خلال هذين الشهرين .. مستقطبا الكثير من كتابات الصحافة الفنية في القطر ..

ونقدم هنا ، في هذه الرسالة ، ملاحظ عما قدمته بعض هذه المعارض ، واختيارنا لهذه المعارض دون سواها لا يعني انها افضل المعارض .. وإنما يأتي ذلك من منطلق اعتمادنا بانها قدمت ما أثار التعليق ، وتعددت وجهات النظر .. ولان بعضها يمثل مسارا جديدا في الحياة الفنية لاصحابها ..

معرض سعاد العطار :

بلا عناوين ، قدمت الفنانة سعاد العطار معرضها الشخصي السابع الذي ضم مجموعة من أعمال البورتريت .. مكفية بكلمة قصيرة فني دليل معرضها هذا ، تؤكد ان « هذه المحاولات أكثر من مجرد تمثيل للوجه الانساني ، أو تجسيد مسحاها الجمالية . ذلك لانه يظل بالامكان دائما ان يطل علينا ذلك الوجه ، من خلال اسبط الخطوط ، مرآة يختلج على ابعاده ذلك الخضم من الانفعالات الداخلية ! »

وقد أثار المعرض وجهات نظر عديدة ، ومناينة في نفوس هذا المعرض .. فالفنان - الناقد شاكر حسن آل سعيد يرى ان الأبعاد الفكرية لاسلوب سعاد العطار هي « في كونها محاولة لتثبيت المظهر الخارجي للوجه الانساني منظورا ، لا من عدة زوايا للنظر فحسب ، بل لعدة مرات للموضوع الواحد » ، اذ « نعتي لنا هذه المحاولة الجديدة دفقا جديدا لفننا الذي يمكننا ان نصفه ب « التجريبية » انفاذا نه ، على الأقل ، من كونه فنا متوقفا .. » .. بينما يرى الناقد سمعون فاضل ان المتتبع للمسار الفني لسعاد العطار يستطيع ان يستشف من معرضها الحالي ما يمكن ان يوصف بنفس التقنية الفنية ، والمعالجة اللونية . ويعيد الناقد فول بيكاسو ، في معرض حديثه عن فان كوخ : « ان ما يهمني هو عذابات الرسام » ، ليتساءل : ترى هل استطاعت الرسامة سعاد العطار ان تعبر من خلال الصور الشخصية لمعرضها عن تلك العذابات ، أو « المذابح الداخلية » التي يقدر الانسان ان يعاني منها ؟ .. ليجد « ان المعرض الحالي يمثل رغبة ، وان كانت لا واعية ، للتأكيد ، من قبل الرسامة ، على انها قادرة على ان تتجز « أعمالا كلاسيكية » .. ولها القدرة ايضا على تمثيل المرتبات .. » .. « ومع كل هذا ، يظل الاحساس بان الصور الشخصية التي تناولتها سعاد العطار تعطي الاحساس بانها ، في معظم الاحيان ، يمكن ان تقترب الى فن المصنعات ، مع ان الفنانة تهدف ، بالشكل الرئيسي ، الى استعمال الوجه الانساني للتعبير

المبكرة في هذا القطر ووقف شعره على محاربة الاستعمار وأعوانه في مطالع الخمسينات حيث كانت الهجمة الامبريالية على وطننا فسي ذروتها ، ولون قصائده بلون الكفاح القاني من أجل غد عربي مشرق ترفرف عليه رايات التحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية ، وأخلص العطاء لوطنه فكان وطنه حيا به ، مقدرا نموغه .

● اشترك في تأبين الشاعر الففيد (الذي ولد عام 1911م ومات في 12/12/1972) مراد السباعي ، شوقي بغدادي ، عبد المين اللوحي ، حامد حسن ، الياس خليل زخريا ، عبدالرحيم الحصني ، نزار قباني ، آطوان مقدسي ، وعفيف فرنلي عن آل المحتفى بأربعينه .

● شوقي بغدادي لفت الأنظار بالشكل التجديدي لقصيدته التي حوت شعرا عموديا ، وشعرا حديثا ، ونثرا موسيقيا موفعا ، جاءت جميعها لترسم لوحة حزن انساني شفاف ، يرصد فاجعة المخلوق البشري بالموت ونهايته بالعدمية .

● هاجم كل من الشعارين السلفيين عبدالرحيم الحصني وحامد حسن الشعر الجديد والشعراء المجددين ، دأبهما في كل مناسبة منبرية فقال الاول :

يا ساكب الشعر من مكنون مهجته عدت على الشعر في أيامنا الغير اذا انتخى نفر للذود عنه بدا يسعى ويمعن في تهديمه غير من كل مستاجر باغ يكاد على جيبته ينطق البهتان والاسر ولوا على الصاد غلمانا وما علموا اي الاواصر من امجادهم بتروا وقال الثاني :

والشعر .. والشعر كرم الله ، دنسه وعات يعث فيه الثلج الولد كنوزه نهب أيدينا ، نبعثر ما شاء الهوى ، ننتقي ما طاب ، ننتقد ينهل كالفيث ، يبقى في مساقفه ما ينفع الناس ، انك يذهب الزبد

● كان نزار قباني نجم هذا الحفل النابيني الضخم ، ولان نزار ، لا يرضى ان يرخص شعره ويجعله مطية تمتطي في الاخويات ، ولانه صديق حقيقي لوصفي فرنلي الذي لم يجامله ابدا يوم رد على قصيدته المشهورة (خبز وحشيش وفمر) بقصيدة مضادة منشورة في (وراء السراب) لم يكن لها بالطبع وقع قصيدة نزار الثورية في وقتها ، ولا اصداؤها الاجتماعية والادبية ، لهذا ولذا لم يكتب قباني قصيدة رثاء في رفيقه الراحل ، بل كتب كلمة « نزارية » كانت تديجا والقاء اروع من الشعر ، وقوبلت بالاعجاب انحاز من جماهير الحاضرين ، وترددت ، ولا تزال ، اصداؤها في حلقات حمص الادبية والشعبية .

● وبمناسبة زيارة نزار قباني لحمص (وهي الاولى في حياته) نظم له اتحاد الكتاب اعرب اسمية شعرية في سينما الزهراء تدافع لحضورها الشباب من الجنسين (وخاصة التامم) بشكل لا يصدق ، حتى عد محسودا من أتباع له موضء قديمين ، يعلو بهما مشربا من نهاية القاعة الكبيرة ليرى الشاعر وهو يلقي قصائده .

وبعد اختتام الاسمية (اتى استمرت ساعة ونصف الساعة) حاصر الجيل الجديد من فتيات حمص الشاعر القباني وقدمن اليه أوتوغرافاتهن ليوشحها بتوقيعه .

وقد سأل المحرر الأدبي لجريدة (العروبة) المحلية الاستاذ نزار عن انطباعاته حول زيارته لحمص فرد قائلا :

« لم أندم في حياتي على شيء بقدر ندمي على أنني لم أضع حمص على خارطة تنفلاتي الشعرية .. فهذه المدينة الرائعة أعادت اليّ الإيمان بالشعر وأكدت لي ان الحمامة هم أنقى واطهر من يصفون الى اشعر وينوبون فيه ذوبانا كما ينوب الصوفي في ربه » .

ممدوح السكاف

حمص

عن الأبعاد الدأخلية ، الا انها نطل ، مع ذلك ، تواجها بنا بوجوه مترفة لا يبدو عليها اي شيء من الفلق والأفعال النفسي) . .
لكن السؤال الذي يمكن ان يطرح امام اعمال معرضها هذا ، هو : هل حققت الفنانة لاشكالها لغة يمكن ان تماثل لغة اشكالها السابقة ، أو تقف نظيرا لها ؟

هذا السؤال يعيد مسألة تقويم ما قدمه المعرض السابع لسعاد العطار من جديد ، بتحليل مضمون عملها ، وقراءة اشكالها السابقة ، والحالية . فاذا كانت لوحات هذا المعرض سهلة القراءة ، كما يبدو للوهلة الأولى . . فان ذلك ((التساؤل)) الكامن وراء تلك الوجوه . . وفي العيون . . في تناثر الشعر ، كما في دماغ الوجوه ذاتها ، يبقى هو الصعوبة الوحيدة القائمة ، والتي تحتاج بانفعل الى استمادة ((المضمون الفكري)) لاعمال الفنانة ، وتتبع مساره من اول معرض لها ، حتى هذا المعرض . ولا اشك في اننا سنجد الصلة قائمة ، بهذا الشكل أو ذلك ، من الماضي والحاضر . .

شهرزاد وشهريار :

اما الفنانة ليلى العطار فقد قدمت معرضها في موضوع واحد ، : هو ((شهرزاد وشهريار)) . .

وربما هي الآن ، واكثر من اي وقت مضى ، تترك ليلى العطار تلك ((اللغة الحائرة)) تنجد مسارها الفني . . فيكون للوحة تكوينها الخاص بها ، وموضوعها الواضح الأبعاد . . والاهم من كل هذا ، انها تمنح اللوحة بعدا شديدا الأيقال في جوهر الحياة الإنسانية . . حيث جعلت من ((الموضوع الواحد)) محورا لـلوحات عديدة . . ومن اللون لغة تعبر عن احساس ، في الغائب هو احساس داخلي ، كانه ((هاجس)) . .

في هذا المعرض هناك ثلاثة مستويات للعمل الفني . .

- هناك أولا وحدة الموضوع . . وهو ما تشككله ((شهرزاد وشهريار)) أو هو بعد واحد من أبعاد هاتين الشخصيتين . .
- وهناك ، ثانيا ، المضمون ، والذي يبرز في هذه العلاقات الملونية التي طرح المضمون بأجراً أساليب التعبير كثافة وتركيزا . .
- وهناك ، ثالثا ، المضمون الكامل ، وهو تجسيم لواقع ، وتلخيص لنظرة الى قضية ألعلاقة الإنسانية (بين المرأة والرجل) .
تنفذ الفنانة الى أدق التفاصيل . .

ان الفنانة في معرضها هذا تخلق للاسطورة ، أو الحكاكية ، معنى تقنم من خلاله هذا المجهول القائم الذي اسمه ((الإنسان)) ، لتكشف عن اشياء في طبيعته . وهي إذ تحدد ((أسطورتها)) بنطاق من المعنى يفصح عن أبعاد هذه ألعلاقة ، فانما لتعكس ذلك ((الجانب الوجداني)) في الفن . وبرغم ما يستشف من أعمال الفنانة هذه لمحات ((وجدانية)) ، فانها ، وببراعة ، سيطرت على موضوعها ، وحولته الى نطاق إنساني عام . . بحيث جاء تداخل الوجدان المعاصر بموضوع الاسطورة تداخلا شفافا حقق للوحة بعدها : الفني والفكري .
ولعل المهم في لوحات معرض ليلى العطار هذا ، هو ان ((الحكاكية)) التي اعتمدها أساسا في بناء موضوعها قد ملأت فراغا في نفسها . . أو هي فجرت بنابيع معطيات كثيرة ، ليتحقق ، وبفعل ذلك ، بعد ثالث يتلخص في منح الأشكال ((كينونتها)) الحياة . . وقد عمدت الى اظهار ذلك وتجسيده من خلال الامتدادات التي تشبه الجسمون أو العروق . . فاضفاء ما يشبه ((النسيج النباتي)) الى التكوين العام للوحة هو ما يرمز الى ((الامتداد الموضوعي)) للفكرة التي تنحدر من ((الاسطورة)) الى ((الواقع)) ، ومن ((الماضي)) الى ((الحاضر)) ، بنوع من التواصل والتعاطف ، أو حتى الاندماج الكلي . .

المرأة عند ((ليلى العطار)) تعيش في عالم بسيط يسيطر عليه الرجل . . ولكنها ، وبالرغم من ذلك ، لها وجودها ، وكيونتها المتحركة بأشكال (معنوية) مختلفة . وتكتسب هذه الأعمال أهميتها بما توجهه الفنانة من عناصر ((التفاهم)) بينها وبين موضوعها . .

فتنفذ الى ماهيته ، ويعيد بناءه وفق تشكيل ربما هو جزء من حضور لفكرة ، أو هو هذا ((انحضور)) ذاته . . فتنفتت ((الحكاية)) ، مستخيلة الى ((تصور)) تعالم قائم وجدت الفنانة امتداده التاريخي (الموضوعي) . ومن هنا أصبحت ((شهرزاد وشهريار)) مرآة لواقع (نفسي واجتماعي) .

من هذا الفهم لاعمال ((ليلى العطار)) يمكنني القول ان أعمالها في معرضها هذا هي من المحاولات الجادة لاعادة صياغة الواقع من خلال الاسطورة ، بحيث يلتقي هذا الواقع بعالم الاسطورة ، متخذا مداه الأبعاد بانتشاء انظاره بالباض ، والحياة بالموت . . وبالتالي ، فهو جانب من فلق علمنا انشرفي . .

أهمية أخرى لمعاجات ليلى العطار هذه . . هي ما يتحقق فيها من تفاعل بين ((الذات)) وبين ((جوهر الحكاية)) ، لينشكّل ، في النهاية ، جانب من الحياة مهم ، بقدر ما هو غامض ، مستتر . . فهو واضح يعيش حضوره في أقصى درجات الوعي . ولعلها جرأة نستاهل أكثر من تقدير هذه التي تمثلت بالفنانة ، لتكشف حقيقة ألعلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة ، بنوع من النشاط الذهني ، الشاعر ، المتزج بكثير من النبضات الرومانسية . . ولعلها باقدامها على ((شخصي)) كهذا انما تطلب ان ننظر الى هذه ((ألعلاقة)) من داخل نطاق الممارسة ذاتها ، بهدف التوصل الى استجلاء أبعاد كائنة في صميم هذه ((ألعلاقة)) من داخل نطاق الممارسة ذاتها ، بهدف التوصل الى استجلاء أبعاد كائنة في صميم هذه ألعلاقة . وبهذا المعنى يمكن ان تكون اللوحة تجسيدا لواقع ، ونقدا صريحا له ، من خلال ألكشف عن طبيعته ، وجوهره . .

أهمية أخرى لهذا المعرض . . تتلخص في تجاوز الفنانة للمناطق السائد في أعمال الكثيرين ، خصوصا في أعمال بعض الرسامات العراقيات . . وهي : ان أفن تيس ترفا ، ولا لها . . وانما هو تعبير عن ((حاجة)) ، فكرية ، أو نفسية ، وعن ((احساس ملح)) . . وبالتالي فهو حوار مع عالم . .

تبقى هناك مسألة أساسية تخص مستقبل ليلى العطار ، الفنانة . هي انها ، وفي هذا المعرض بالذات ، بدأت رحلة بحث من نوع فريد . وكما ان كل فنان يخلو عمله من البحث محكوم عليه بالانتهاء . . كذلك فان توقف هذا ((البحث)) عند نقطة بذاتها هو الآخر انهاء لمسيرة فنه في خط التطور . . ولقد بدأت ((ليلى)) من نقطة يستطيع اعتبارها البداية الحقيقية لها . فاذا ما ارادت الوصول الى ما يطمح اليه كل فنان من تطور ، واستمرار لهذا التطور ، فان عليها ان تواصل ((رحلة البحث)) هذه ، مع تأكيد على ضرورة الاكتشاف الدائم ، بغية التوصل الى تجسيد الحقيقة التي تشغلها والتي بدأ بحثها الجديد فيها ، بظني ، من هذا المعرض .

معرض غياث الأخرس :

بلغة فنية بسيطة . . ولكنها عميقة ، عفوية عفوية رسوم الأطفال ، الا انها بارعة . . وبانوان فرحة ، مشرقة ، ولكنها لا تخلو من تعبير عن أزيمة أو حزن . . بكل هذا . . قدم لنا الفنان السوري غياث الأخرس معرضه لاعمال الكرافيك في بغداد في مطلع آذار . .

هذا الفنان ، في جميع أعماله شديد الالتصاق بعصره ، وبزمنه ، وبفضية الإنسان فيه . وقد استغل ما يمتاز به ((الكرافيك)) من امكانات تقنية في تحريك ((المناخ التعبيري)) للوحة من خلال أدق التفاصيل . .

تحدث غياث عن نفسه . . وعن فنه . . وأجد ان أجزاء من حديثه هي الأكثر قدرة على تشخيص معالم فنه . .
- ((انا فنان اعتمد على ما تركه الرؤية البصرية من حسدس

العصر» .

- « اعتقد انني ، كشخص ، مباشر مع الآخرين .. ومباشر وتلفاني مع كل شيء اواجهه ، او يواجيني . وأنصور بانني افسرح بسهولة ، وبسرعة .. واحمل ردة الفعل العكسية بنفس السهولة والسرعة . ربما اكون انفعاليا .. الا انني أحس اكثر مما أفكر .. أي ان مواجهتي الحسية للاشياء اكبر من مواجهة الوعي لها » .

- « اعتقد انه باقل ما يمكن من العلاقات الفنية - الفكرية احوال ان اعبر عن اكثر ما يمكن من انطباعات وانفعالات واحاسيس اعيشها بشكل دائم مع الانسان .. مع البيئة .. ومع الطبيعة بشكل عام » .
- « اتى ابحت عن هوية تتحدد عن زماني ومكاني من هذا التراث، وهذه الحضارة لاجد اللفة التي استطيع التحدث بها بلهجة تشكيلية ، فنية معاصرة تناسب والزمن اندي أنتهي اليه ..

.. انني لا انظر الى المحلية بشكل متعصب ، بقدر ما انظر اليها كمنطلق يشدني الى الارض ، والتراث .. ومنه انطلق الى العالم .. الى انسان اليوم » .
ربما تكون هذه الفقرات هي التفسير الاوضح لاعمال الفنان غياث الاخرس ، سواء في معرضه هذا ، ام في اعماله الأخرى .. لانها تتضمن تشخيصا دقيقا لمعالم اتجاهه ، وتفكيره ، وبؤياه .. فنانون فرنسيون معاصرون :

وكان معرض الفن الفرنسي الذي شغل اكبر فاعات المتحف الوطني للفن الحديث من ٢٠ شباط حتى ٢٠ آذار ، تظاهرة فنيية كبيرة ، أتاحت للفنانين ، والنقاد ، وملتوقي فن التعرف على جوانب عديدة من اتجاهات الفن الفرنسي المعاصر .. من خلال اعمال : كرومير ، فوترييه ، هيربان ، فالش ، أوبالك ، هارتونك ، سولاج ، كروبير ، فييرا دأ سيلفا ، سانجيه ، بولياثوف ، بنيون ، بودان ، بيسيير ، بوريس ، شاستيل ، دينويه ، ديپول ، آيستيف ، كيشييا ، هيليون ، لايك ، لوموال ، مانيسييه ، مارشان ، موزيك ، نالار ، براسينوس ، شنيدير ، ناكلوات ، زاو - وو - كي .. وعلى الرغم من اهمية هذا المعرض .. وعلى الرغم مما يمكن ان يثيره من مناقشات لاتجاهات الفن المعاصر ، أن فسي العراق ، او العالم ، في ضوء ما يطرحه فنانون هذا المعرض .. فان شيئا من هذا لم يحدث .. للأسف !

مهرجان أفلام وبرامج فلسطين :

من التظاهرات الفنية الضخمة التي شهدتها بغداد في الفترة من ١٩ - ٢٢ آذار « المهرجان الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين » الذي عقد تحت شعار : « تحرير فلسطين ركيزة لتسليم العالمي » . شاركت فيه وفود سينمائية واذاعية وتلفزيونية كبيرة من ست عشرة دولة ، عربية واجنبية .. وعرضت خلاله افلام عديدة ، حول القضية الفلسطينية ، وحركات التحرر العالمي .. كما القى العديد من الباحثين ، ودارت مناقشات .. سنقدم في العدد القادم من « الآداب » تقريرا شاملا عنها ..

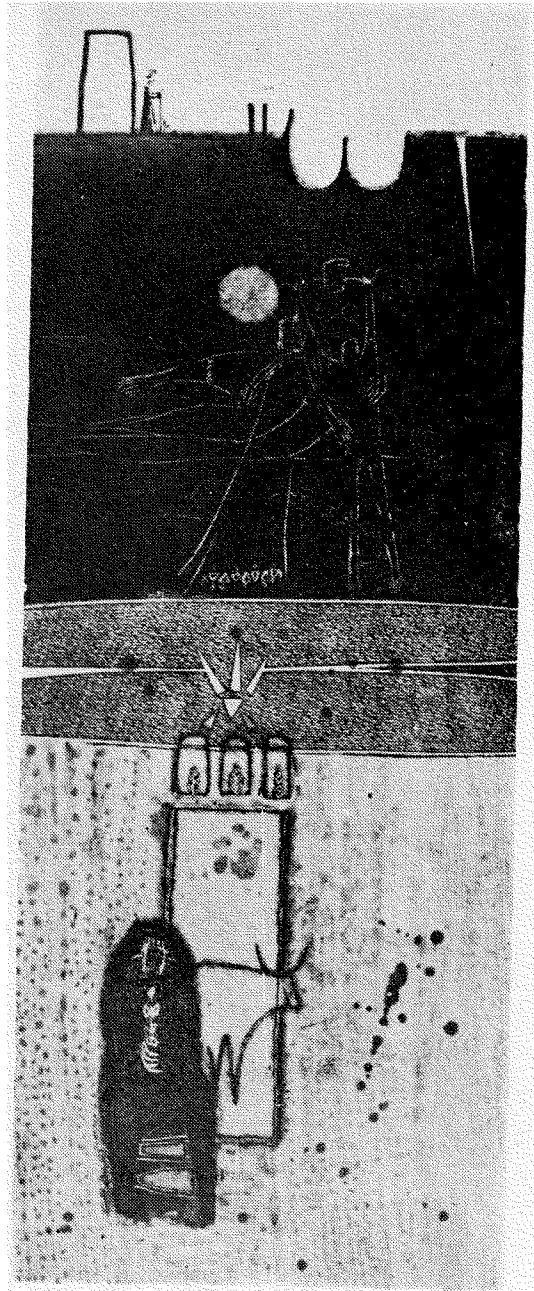
مؤتمر التاريخ العالمي :

كما عقد في الفترة من ٢٥ - ٣٠ آذار ، مؤتمر التاريخ العالمي ، الذي نظمته جمعية التاريخ والآثار في العراق .. حضرته شخصيات عالمية كبيرة ..

وسنقدم في رسالتنا القادمة تقريرا مفصلا عن اعمال المؤتمر ، وما انتهى اليه .

ماجد صالح السامرائي

بغداد



المصعود (كرافيك) لغياث أخرس

وانطباع .. كما اعتمد على معطيات التراث بشكل عام ، وعلى مؤثرات البيئة (الريف السوري) . ومن خلال ما يتركه ذلك من انطباعات ، تعامل مع المعدن تعاملًا مباشرًا » .

- « الانطباع وجد ، ويتواجد باستمرار ، من خلال رؤيا وتفاعل مستمرين مع الحياة التي أحيانا على أرضي .. تهذب احيانا حسب ثقافتي التي اكتسبتها ، وخبرتي التي توصلت اليها لتلد الفكرة - اللوحة » .

- « في لوحاتي هناك موقف من الانسان . ربما اكون انا مرحبا ، ومتفانلا .. الا انني ابن هذا العصر بكل ما يحمل من تناقضات تواجه انسانه .. وبكل ما تحمل البيئة التي أحيأ ضمنها من فرح وتساؤل وسعادة . احيانا تآزم وتجرح بعنف امام العالم الماساوي لانسان هذا